
تحرير المقال
في موقف السلف من موت أهل الضلال
لفضيلة الشيخ
أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي
إبراهيم الرحيلي



لفضيلة الشيخ

أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي



00966 58 308 8912 rehyli http://www.al-rehaili.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد تسليما مزيدا.

أمَّا بعدُ:

فقد صاحب موت (يوسف القرضاوي) أحد دعاة الإخوان المسلمين المعمرين، حملة إعلامية واسعة امتلأت بها ساحات التواصل ما بين مترحم مادح، وما بين ذام وقادح.

وقد صادف أثناء نشر هذه التعليقات التي كانت ترسل لي من بعض طلاب العلم للتعليق عليها انشغالي بأعمال أخرى مما منعني أن أتكلم في هذه المسألة بشيء عدا إجابتين مختصرتين.

❑ **فقلت في الأولى لما كثرت الرسائل التي ترسل بهذا الخصوص جوابا على أحد الأسئلة:**

«الرجل أفضى إلى ما قدم وينبغي الاشتغال بما ينفع»، وكانت هذه الإجابة خاصة لأحد الإخوة السائلين وليست للنشر، وهي مناسبة لما أعرف من حاله. ثم إنه نشرها – عن حسن قصد– بغير رأي مني، وطلبت منه حذفها؛ لأن مخاطبة الناس على وجه العموم تحتاج إلى شيء من التفصيل والبيان بما يتناسب مع أحوال المخاطبين بالكلام.

وقلت في جواب رسالة أخرى اشتملت على أخطاء القرضاوي:

وهي مأخوذة من كتاب الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد اشتملت على (١١٦ خطأً) وهي في الحقيقة تمثل انحرافات عقدية ومنهجية وسلوكية كبيرة للقرضاوي فقلت معلقا على هذه الرسالة: «نشر هذا مفيد للتحذير من ضلالات القرضاوي دون السب؛ فإنه لا فائدة فيه بل يثير المنخدعين به».

ثم رأيت كتابة لأحد الكُتاب تضمنت الإنكار لمضمون إجابتي الأولى - ولا أدري أهي مقصودة بعينها أم جاءت بحكم الموافقة - فذكر في سياق ذكره مواقف الناس من موت القرضاوي-: قسماً وصفهم بالمميعة وبالخور والضعف تجاه الرد على المخالفين، وأنهم إما أن يسكتوا وإما أن يقولوا أفضى إلى ما قدَّم، ثم شرع في الحكم على المقاصد وزعم أن هذا من التزلف للمخالفين ومداهنتهم طلبا لنفعهم، هذا مضمون كلامه.

وأنا في الحقيقة غير مبال بما كتبه الكاتب لما يظهر عليه من التعجل والمجازفة في الأحكام والحكم على النيات والمقاصد مما يقتضي عدم الالتفات لكلامه.

والأصل في الردود العلمية أن يبتغى بها وجه الله، وتصحيح الأخطاء لا التمحل في تخطئة الصواب ثم رده.

وقد أشرت إلى هذا المعنى في تغريدة نشرتها في حسابي في (تويتر) **قلت فيها:** «إذا رأيت الرجل في باب الرد يُحَمِّلُ الكلام عند نقده ما لا يحتمل ثم ينتقده فاعلم أن مرجع هذا لضعف فهمه أو لسوء قصده. وعلى كل حال فلا يجوز لهذا الرجل أن يتقحم هذا الباب

الشريف من العلم وحق على ولاة الأمر تعزيره وكفه عن هذا»، وإنما أردت في هذا المقام إزالة اللبس الذي قد يفهم من كلامي لمن يطلع عليه وكذلك النصح لإخواننا السلفيين ببيان الموقف الصحيح من هذه المسألة وحتى لا تتبادل بينهم التهم في أمر حقه التفصيل والبيان. فسطرت هذه الورقات وجعلتها بعنوان: **«تحرير المقال في موقف السلف من موت أهل الضلال»**.



فأقول وبالله التوفيق: بيان هذه الموضوع من وجوه متعددة:

الوجه الأول: **التحذير من أهل البدع في حياتهم وبعد موتهم أصل شرعي مقرر لا ينكره صاحب سنة، ومن هؤلاء المبتدعة:** الجماعات الحزبية المعاصرة من الإخوان والتبليغ ومن وافقهم.

وكنت قد بينت موقفي منهم مع تقريري لوجوب التحذير منهم في رسالة مستقلة بعنوان **(موقفي من الجماعات الحزبية والمخالفات العقدية)** وهي منشورة في موقعي ومما قلت فيها:

«◊ **أولاً**: إن الذي أدين الله به في تلك الجماعات المحدثة كجماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ وما تفرع عن جماعة الإخوان من جماعات كالبنائين والقطبيين والسروريين: أنها كلها جماعات بدعية خارجة عن السنة ومنهج سلف الأمة، أدين الله بالتحذير منهم ومن مناهجهم المحدثة، وأرى حماية الشباب والنشء من الاطلاع على كتبهم ومنشوراتهم، وأحث على اتخاذ السبل في كشف أباطيلها وانحرافاتها نصحًا للأمة وإبراءً للذمة.

فهذا ما أعتقده في هذه الجماعات قديمًا وحديثًا بما ظهر لي من حالهم وواقع أمرهم من خلال كتبهم وأقوال أتباعهم الموثقة، وما دلت عليه نصوص الشريعة وأقوال سلف الأمة المقتضية لتبديعهم وما ذكرته من أحكامهم.

◊ **ثانيًا**: أنني قد حذرت من هذه الجماعات وبينت خطورة مناهجها ومخالفتها للسنة

في العديد من كتبي:

قلت في كتاب **(موقف أهل السنة)** وهو موضوع رسالتي للدكتوراه التي تمت مناقشتها في (٣٠/ ١١/ ١٤١٢هـ): «وبهذا يعلم خطورة ما انتشر بين المسلمين في هذا العصر من أحزاب وجماعات وضعت لها أسماء وألقابًا ومناهج ورسومًا وطقوسًا تميز كل طائفة عن الأخرى، وأصبح لكل طائفة دعاة وأنصار وأتباع يوالون من والى هذه الجماعة وانتسب إليها، وينفرون بل يعادون كل من عارضها ولم يدخل تحت لوائها.

بل وصل الأمر ببعضهم إلى موالاة أهل البدع كالرافضة والخوارج والباطنية والصوفية وغيرهم من أهل البدع لانتسابهم للجماعة التي ينتسبون إليها، في حين أنهم يعادون أهل السنة لعدم انتسابهم إليهم ورضاهم بصنيعهم، وهؤلاء على خطر عظيم إن لم يرجعوا إلى مظلة أهل السنة والجماعة، وينبذوا تلك التحزبات ويعقدوا الولاء والبراء فقط على العقيدة الإسلامية **(عقيدة أهل السنة والجماعة)**»[١].

ثم أحلت في الحاشية على المراجع التي فصلت في هذه الجماعات والتعريف بها والحكم عليها[٢].

وقلت في كتاب **(التكفير وضوابطه)** المنشور سنة (١٤٢٦هـ) بعد ما يقرب من سنتين من تأليفه: «ومن أبرز المصادر والأسباب التي أدَّت إلى انتشار التكفير في أوساط

---

(١) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع (١/ ٤٣).

(٢) انظر المرجع السابق (١/ ٤٣) حاشية رقم (١).

المسلمين اليوم حتى عمَّ هذا الداء خلقًا كثيراً مِمَّنْ لم يكونوا معروفين ببدعة: بعض الجماعات الدعوية المعاصرة التي لم تنشأ على السنة، بل تتخبط في البدع والضَّلالات، إما لسوء مقاصد القائمين عليها، وإما لجهلهم بالدين.

فكان من نتاج تلك الجماعات كثير من تلك الكتب المسمَّاة بـ: (الكتب الفكرية)، التي أفسدت عقائد كثير من المسلمين، وانحرفت بهم عن جادة الدين، فهي تنظر للمجتمعات الإسلامية المعاصرة على أنها مجتمعات جاهلية كافرة، نبذت الإسلام ظهريًا، واعتنقت الكفر الصريح، ولم يسلم من ذلك أحد من أفراد الأمة حكامًا ومحكومين، ذكوراً وإناثًا، شيبًا وشبابًا، مما كان له أكبر الأثر في وجود جيل معاصر تربى على هذه الكتب، فزرعت في نفوسهم بذرة التكفير العام للمجتمعات الإسلامية المعاصرة، حتى أصبحت عقيدة راسخة عند هؤلاء، ولا يسأل بعد ذلك ما وراء هذا الاعتقاد من فتن وشرور»(٣)(٤).

والقرضاوي رأس من رؤوس الإخوان المسلمين مع نشاطه الواسع في الإعلام الذي أثر على معتقدات الشباب بفتاواه في التكفير والخروج على الحكام، وله الأثر البارز في تأجيج فتن الخروج في البلدان العربية والمسماة (بالربيع العربي) هذا مع انحرافات أخرى في باب المعتقد والسلوك، من مشاهدة المسلسلات والسماع للأغاني كما نبه على ذلك بعض من ألف في الرد عليه. وهذا مما يوجب التحذير منه حماية للعامة، وبعض المغرورين

---

(٣) التكفير وضوابطه ص (٣٨).

(٤) موقفي من الجماعات ص (٥-٦).

به من الشباب الذين ليس لديهم تمييز أو فرقان بين علماء أهل السنة وأهل البدع.

الوجه الثاني: **الرد على القرضاوي وغيره من المخالفين لا يكون إلا لأهل العلم الضابطين،** جاء عن ابن فروخ: «أنه كتب إلى مالك بن أنس إن بلدنا كثير البدع، وإنه ألف كلاما في الرد عليهم فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك، خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه شيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك»(٥).

وهذا أمر مقرر عند العلماء قديما وحديثا أن الرد على المخالفين يكون للعلماء الضابطين الذين يفندون شبه المخالفين ويفحمون الخصم، وهم محل ثقة الناس لرسوخهم في العلم. وأما الأحداث والعامة وصغار الطلبة وهم أكثر رواد مواقع التواصل الاجتماعي فهؤلاء لا مدخل لهم في الرد على المخالفين لا القرضاوي ولا غيره، ومن زج بهم في ذلك وأغراهم بالدخول فيه فقد غشهم وأضر بهم كما أضر بالدين من قبل وبعد، ونتائج خوض هؤلاء في هذا الأمر وخيمة على الأمة وعلى عقيدة أهل السنة.

وإطلاق العبارات في مواقع التواصل بوجوب الرد على أهل البدع، وإغراء هؤلاء الأحداث بذلك من غير بيان لضوابط الرد ومن يقوم به، هذا زج بهؤلاء الأغمار في فتن وبلاء لا تحمد عقباها، فليتنبه أصحاب الغيرة على السنة، وليقتدوا بسلفهم في منهجهم

---

(٥) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٤).

وليتأملوا كيف منع الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك الرجل من الرد على أهل البدع وتعليله لذلك المنع بما ذكر.

۞ **وليعلم أن إجابتي الأولى:** عندما أجبت السائل بأن الرجل أفضى إلى ما قدم، وأنه ينبغي الاشتغال بما ينفع ما قصدت بها ولم يخطر لي ببال أن أمنع من الرد على القرضاوي والتحذير من ضلالاته. وإنما أردت صرف هؤلاء الشباب التي تكاثرت رسائلهم في الكلام في القرضاوي بألفاظ منفرة من غير تضمنها لتحذير علمي مقنع وتنبيه على أخطائه. ولهذا لما جاءتني الرسالة الثانية المتضمنة ذكر أخطاء القرضاوي منقولة من كتاب الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ علقت عليها قائلا: «نشر هذا مفيد للتحذير من ضلالات القرضاوي دون السب فإنه لا فائدة فيه بل يثير المنخدعين به» وهذا بيِّن وموضح لمقصودي من العبارة الأولى.

الوجه الثالث: الرد على أهل البدع والتحذير من المخالف واجب كفائي كما هو مقرر عند أهل العلم، فإذا قام به بعض العلماء تحقق المقصود الشرعي منه، ولا يجب على كل عالم أن يرد على ذلك المخالف. وهذا من الأصول المقررة عند أئمة السلف ومن بعدهم من أهل السنة بالاتفاق، وظن من ظن كهذا الكاتب وأمثاله أن من لم يتكلم في موت القرضاوي وسكت عن ذلك أن هذا من التمييع والضعف في نصرة عقيدة السلف، هذا جهل وطيش وقول من لا يدرك ما يترتب على قوله من لوازم كثيرة باطلة. فمعلوم أن الذين تكلموا في أخطاء القرضاوي هم قلة قليلة من السلفيين. فهل عامة العلماء الذين لم يتكلموا ولم يحذروا من أخطاء القرضاوي لا قديما ولا حديثا لا في حياته ولا بعد موته

وهم يرون أن واجب التحذير قام به غيرهم وكفاهم مؤنته هل هؤلاء مميعون ضعاف؟ وهل علماؤنا الكبار في هذا العصر الذين لم يتكلموا في موت القرضاوي ولا التحذير منه بكلمة هم من هؤلاء؟ ثم ما شأن بعض السلف وأئمة أهل السنة بعدهم الذين اشتغلوا بالعلم وبفنونه المختلفة من حديث وتفسير وفقه ولغة وصنفوا في ذلك المصنفات الكبار، ولم تُعرف لهم مقالة في التحذير من المبتدعة من جهمية ومعتزلة وخوارج وصوفية مع عظم فتنة هؤلاء المبتدعة وشدتها على الأمة هل هم مميعة ضعاف؟!

🗐 الوجه الرابع: **أن التحذير من المبتدع لا يلزم أن يكون عند وفاته بل يحذر من المخالفة عند أول وجودها؛** فإن حُذر منها في وقتها في حياة قائلها تحقق المقصود الشرعي من التحذير والإنكار، ولا يلزم تكراره عند موت ذلك المخالف إلا أن يكون هناك مسوغٌ لذلك فلا بأس كوجود بعض الدعاة الذين ينشطون للدعوة لما هو عليه من المخالفات فلا بأس من تكرار ذلك والتذكير به إلا أنه يبقى كفائيًا لا يلزم به عامة العلماء وطلاب العلم.

🗐 الوجه الخامس: **أني لاحظت في الفترة الأخيرة أنه ما من ميت يموت من علماء أهل السنة أو من أهل البدعة،** إلا وينشط بعض رواد مواقع التواصل ويطالبون بكلمات من عامة العلماء وطلاب العلم في مدح علماء أهل السنة وذم أهل البدع، حتى أصبح هذا الأمر عادة معتادة ومسلكا مطرداً، ومن لم يجبهم من العلماء لربما غمزوه بالتقصير أو التمييع.

والثناء على السنة وذم أهل البدع حق وفيه ترغيب لاتباع أهل السنة والتنفير من أهل البدع، لكن تخصيص ذلك بحال الموت بحيث يلتزم دائما فأرى هذا من البدع الإضافية

التي لم تكن معروفة عند السلف، بل لم تكن معروفة عند أهل السنة إلى وقت قريب. فليتنبه من يسلك هذا المسلك من أهل السنة وليحذر من الوقوع في البدعة وهو لا يشعر.

الوجه السادس: الفرح بموت أهل البدع نُقل عن بعض السلف ومن ذلك فرح علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتل الخوارج وسجوده شكرا لله لما رأى رئيسهم وهو (ذُو الثُّدَيَّةِ) في القتلى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الخوارج: «وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر فيهم سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتضمنة لقتالهم وفرح بقتلهم وسجد لله شكرا لما رأى أباهم مقتولا وهو (ذُو الثُّدَيَّةِ) بخلاف ما جرى يوم الجمل وصفين؛ فإن عليا لم يفرح بذلك بل ظهر منه من التألم والندم ما ظهر»[٦].

وقيل للإمام أحمد: «الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: «ومن لا يفرح بهذا؟» ثم قال: «هؤلاء أرادوا تبديل الدين»»[٧].

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة عبيد الله الخفاف المعروف بابن النقيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان شديدا في السنة، وبلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المُعَلِّم شيخ الرافضة، وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم»[٨].

---

(٦) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٩٥).

(٧) السنة لأبي بكر بن الخلال (٥/ ١٢١).

(٨) تاريخ بغداد (١٢/ ١١٦).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة: (الحسن بن صافي بن بزدن): «كان رافضيا خبيثا متعصبا للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه، حتى أراح الله المسلمين منه، وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحا شديدا، وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحدا منهم إلا يحمد الله»[٩].

والفرح بموت دعاة الضلال أمر لازم للإيمان كالحزن لموت أئمة السنة، وهذا مقتضى تعظيم الشرع، وهذا أمر يجده المسلم السني في نفسه لا يمكن دفعه لكن إظهاره للناس والتحديث به قد يحصل أحيانا كما تقدمت شواهده من فعل السلف لكن لا ينبغي أن يظن أنه أمر متعين عند موت كل رؤوس أهل الضلال، وهو عام في كل أهل السنة وفي كل وقت وحال فهذا هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لم ينقل عنهم إظهار الفرح والسرور والتهنئة بموت صناديد الكفار وقتلهم في المعارك الفاصلة كيوم بدر وأحد وحنين وخيبر وكذلك قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبني قريظة في ساحة واحدة وكان عددهم أربعمائة رجلا ومعهم حليفهم حيي بن أخطب وكانوا من أشد الناس عداوة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وكذا موت عبد الله بن أبي وكان رأس المنافقين في المدينة فلا يُعرف في السيرة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أظهروا الفرح بموت هؤلاء، وإنما كانوا يحمدون الله على نصرالله لهم وكبت عدوهم بل صلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عبد الله بن أبي وأعطاه قميصه ليكفن فيه على ما روى مسلم من حديث ابن عمر، قال: لما توفي عبد الله بن أبي

---

(٩) البداية والنهاية (١٢/ ٣٣٨).

ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ليصلي عليه؟ فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**إنما خيرني الله فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على سبعين**» قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة:٨٤](١٠).

بل جاء عن بعض العلماء المتبعين ما يخالف ذلك والاسترجاع عند موت بعض المخالفين وتعزية أهله فيه كما نقل ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ عن شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: «وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له. فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحو هذا من الكلام. فسروا به ودعوا له. وعظموا هذه الحال منه»(١١).

وكذا ما نقله ابن كثير عن شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن

(١٠) صحيح مسلم (٤/ ١٨٦٥).

(١١) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٩).

السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضا، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا، فقال الشيخ من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[١٢].

وقد اشتهر عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز زيارته لأحد المعاصرين الذي له مقالات مخالفة للسنة لما مرض ذلك الرجل ومواساته له في مرضه مما أثر في نفسه وتكلم بعدها بكلام بليغ في الثناء على الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتعجب من أخلاق الشيخ ولينه ورحمته.

الوجه السابع: أن إظهار الفرح بموت أهل البدع من عدمه يرجع فيه للمصلحة فإن تحققت به مصلحة فنعم، وإن أدى إلى مفسدة فلا ينبغي أن يُسلك وهو من جنس إنكار المنكر الذي إن تعذر إنكاره ظاهرا اقتصر في إنكاره على القلب.

وينبغي أن يراعى في هذا الفرق بين عصور السلف التي تكون فيها السنة ظاهرة قوية

---

(١٢) البداية والنهاية ط إحياء التراث (١٤/ ٦١)

والغلبة فيها لأهل السنة فينتفع الناس بذلك في الحذر من البدع وأصحابها، وحال الناس في هذه العصور المتأخرة التي قد تكون الغلبة فيها لأهل البدع أو للعامة الذين يحملهم إظهار الفرح بموت مبتدع على الإصرار في اتباعه على مخالفته وتهييج العامة ضد أهل السنة، ودعوى أنهم جفاة غلاظ يفرحون بموت المسلمين ولا يفرحون بموت الكفار، وقد رأيت معلقاً في مواقع التواصل علق بذلك لما نشر بعض المنتسبين للسنة إظهار فرحهم بموت القرضاوي.

وهذا أمر مقرر بين العلماء في معاملة المخالفين وهو الموازنة بين المصالح والمفاسد ومراعاة مقاصد الشريعة قبل سلوك مسلك أو منهج قد يكون له أصل عند السلف لكنه لا يناسب في زمان أو مكان آخرين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا يُفَرَّق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع كما كثر القدر في البصرة والتنجيم بخراسان والتشيع بالكوفة، وبين ما ليس كذلك، ويُفَرَّق بين الأئمة المطاعين وغيرهم، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه»[١٣].

وعلى هذا يُحمل تنوع أحوال السلف في معاملة المخالفين من تألف أو هجر، ومداراة أو عقوبة وإظهار الفرح بموت بعضهم من عدم ذلك في حق آخرين والله أعلم.

الوجه الثامن: ينبغي عند نسبة أمر للسلف بحيث يقال (هذا هو موقف السلف من

---

(١٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٦-٢٠٧).

كذا) أو(هذا منهجهم في كذا)، أن يُجمع كل ما جاء عن السلف في المسألة وإذا تنوعت مواقفهم وتعددت أن تذكر بأمانة؛ فإن هذا من الإنصاف لهم وبه يظهر فقههم في تنوع المواقف بحسب اختلاف الأحوال والأزمنة والأمكنة، والحذر من الاقتصار على نقل بعض مواقف للسلف التي تتنزل على أحوال معينة، أو هي مواقف لبعضهم دون البعض الآخر ثم دعوى أن هذا هو موقف السلف العام أو منهجهم الوحيد في كذا وتعميم ذلك الأمر على كل الأحوال والظروف وعلى كل أعيان السلف. ثم الطعن فيمن قال بغيره وأنه مخالف لمنهج السلف جاهل بحالهم، ولو طولب هذا المقرر بتوثيق ذلك عن السلف لربما لم يجد في ذلك إلا آثاراً قليلة ونادرة في حين أنه هناك العشرات بل لربما المئات من الآثار تمثل مواقف أخر ى لبعض السلف في الباب نفسه.

وقد مرت بي تجربة خاصة في هذا المقام أثناء تأليفي لكتاب **(موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع)** -وهو موضوع رسالتي لمرحلة الدكتوراه - فهداني الله بمنته وفضله إلى اتخاذ قرار أثناء جمع المادة العلمية للكتاب ألا أدع قولا أو أثرا يمثل موقفا لإمام من أئمة السلف إلا دونته في بطاقة ثم جمعت بطاقات كل موضوع في ظرف آخر كبير يشتمل على كل البطاقات التي تمثل مواقف السلف في تلك المسألة، وكنت ألحظ أن هناك تباينا بين مواقف السلف في المسألة الواحدة وأن لهم أقوالا متعددة في عامة مسائل البحث كمسألة التكفير والتبديع ومجالسة المبتدعة وهجرهم والصلاة خلفهم والصلاة عليهم ومناكحتهم وحل ذبائحهم من عدمها وحكم مجادلتهم واستخدامهم في التدريس والتعليم وقبول

روايتهم وشهادتهم، وكان الذي يظهر من هذه الآثار في بداية الأمر التعارض والتضاد وأن للسلف في تلك المسائل عدة أقوال. فهذا ينهى عن الصلاة خلف المبتدع وآخر يصححها، وإمام يمنع من الصلاة على المبتدعة وآخر يجيزها. وكذا من السلف من يمنع من قبول رواية المبتدع ويردها وآخرون يقبلونها ويقولون لنا روايته وعليه بدعته. وهكذا التباين في عامة المسائل التي كانت محل الدراسة والتي تزيد عن سبع وعشرين مسألة.

ثم لما انتقلت لمرحلة التحليل وتصنيف هذا المواقف ومحاولة استكشاف الفوارق المؤثرة في تباين هذه المواقف مع الاستعانة بالله ثم الاستفادة من تقريرات العلماء المتأخرين عن عصور السلف والتي اتسمت بالبسط والتقسيم خاصة ما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأت تتجلى لي الفوارق المؤثرة لتنوع مواقف السلف في تلك المسائل. وإذا بهذه المواقف تسير على فقه عظيم في مراعاة أحوال المبتدعة من مبتدع كافر أو مسلم، ومبتدع مجاهر أو متستر، ومبتدع متأول أو معاند، ومبتدع محتاج إليه في باب من أبواب العلم أو الجهاد أو الرواية وآخر مستغنى عنه. إلى غير ذلك من تنوع أحوال المبتدعة.

ثم خلصت من البحث إلى نتيجة وهي: أن هذه المواقف كلها متفقة في أصولها ومآخذها وإنما المؤثر في تباينها هو تباين أحوال المبتدعة المختلفة فنتج عن ذلك أن لهؤلاء المبتدعة أحوالاً متعددة في المسألة الواحدة قد تصل إلى أربعة أو ستة أحوال لكل حال حكمه المستقل المباين عن حكم الحالة الأخرى كما هو الشأن في الصلاة خلف

المبتدعة فلها ست صورة متباينة في أحكامها لتباين أحوال المبتدعة.

۞ **ولذا أوصي إخواني السلفيين** الذين جمعني بهم رابط الإخوة الإيمانية والاجتماع على العقيدة السلفية، والموالاة على ذلك والتناصر فيه ألا يتعجلوا في نسبة شيء للسلف قبل تحقيقه ونقل كل ما جاء عن السلف فيه. وإذا ما استشكلوا شيئا من ذلك أن يرجعوا للعلماء الراسخين والباحثين المتخصصين الذي يوجهونهم للحق في ذلك.

الوجه الثامن: أختم حديثي بثلاث نداءات صادقة أتوجه بها لثلاث فئات:

❁ **النداء الأول: لأهل العلم من أهل السنة والجماعة:** فإني أذكركم بنعمة الله عليكم فيما شرفكم به من العلم والفقه والاستقامة على السنة والسلامة من البدع. فاحمدوا الله على ذلك وأدوا حق هذه النعمة بنشر العلم بين الناس تقريرا وتأصيلا مع بيان منهج السلف الصالح فيما يَجِدُّ من مسائل وما يعرض للناس من نوازل. فإن الله قد أخذ في ذلك الميثاق عليكم كما في قوله:﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]، واعلموا أنكم إن سكتم عن ذلك تجرأ على الكلام فيه من ليس بأهل للكلام العلم فأفسد أكثر مما يصلح وضل وأضل وزاغ وأزاغ وجنى على نفسه والأمة جناية عظيمة. وإنما يكون بلاء الأمة وفتنتها بسكوت القادرين عن بيان الحق وخوض القاصرين فيما لم يحسنوا بجهل. فالله الله في واجبكم ولا يؤتى أهل الإسلام من قبلكم.

❁ **والنداء الثاني: لطلبة العلم المنتسبين لمنهج السلف** فاعلموا أن انتسابكم لعقيدة السلف ومنهجهم مسؤولية عظيمة وعامة الناس لا يعرفون من عقيدة السلف ومنهجهم

وأخلاقهم إلا ما يرون منكم لانتسابكم إليهم. فاحذوا أن تنسبوا للسلف ما ليس من دينهم اعتقاداً وسلوكا فتجنوا عليهم بذلك وتعرضوا الناس لذمهم بأخطائكم، وتنفروا الناس من دينهم بتصرفاتكم، واعلموا أن الكثير من أهل العلم لا ينتسب للسلف لما يرى من قصوره عن الانتساب إليهم والقيام بحقهم. فإما أن تنتسبوا إليهم بحق وصدق مع امتثال عقيدتهم وسلوكهم ومنهجهم، وإما أن تمسكوا عن ادعاء تأسيكم بهم وأنكم على طريقهم لئلا تنفروا الناس من عقيدتهم وأخلاقهم فتكونوا وبالا عليهم. واكتفوا من ذلك بالانتساب إلى أصل عقيدتهم دون أن تزكوا أنفسكم بامتثال طريقتهم كما أنكم تنتسبون لأصل الإيمان ولا تزكو أنفسكم بتحقيق كماله.

❁ **والنداء الثالث**: **لعامة المسلمين** فيا أمة محمد امتثلوا هدي نبيكم وطريق سلفكم الصالح والزموا غرزهم والتفوا حول علماء أهل السنة الصادقين والعلماء العاملين واحذروا كل الحذر من دعاة البدع وسماسرة الفتن ونجوم الشهرة ومرتزقة الإعلام الذين يروجون للبدع في الأمة، ويدعونها لكل بلاء وفتنة فبينما هم يدعون للخروج على الحكام وشق عصا الجماعة والتفجير والقتل والسلب والنهب بدعوى الغيرة على الدين وإقامة دولة الإسلام الغائبة وصحوة الأمة الغافلة إذا بهم يفتون بالتحلل والتفسخ من الأخلاق ومخالطة النساء للرجال ومشاهدة الأفلام والمسلسلات وسماع الأغاني ومشاهدة الراقصات ومجالسة المغنين والفنانين ومصادقة الكفار والمنافقين بدعوى سماحة الإسلام ونبذ التزمت والتشديد وقبول الآخر ومواكبة أحوال العصر والمستجدات

وإعمال قاعدة الثوابت والمتغيرات. فما أقبح جنايتهم على الإسلام في جمعهم بين الدعوة للبدعة والمعصية والغلو والتقصير. هذا مع تذبذب أحوالهم وتناقض مواقفهم وتعارض فتاواهم وأقوالهم، فلا ثبات لهم على حال ولا استقرار لهم على مذهب أو مقال. يصيحون مع أهل الإسلام تارة ويطبلون مع أهل الضلال تارة أخرى، تقودهم إلى ذلك الأهواء المضلة وتسيرهم المصالح الذاتية. وهم أشبه الناس بمن وصفهم الله في كتابه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء:١٤٣]، وهم بحق من سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سننه بقوله: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»[١٤].

فكونوا يا أهل الإسلام منهم على حذر ومن فتنتهم على وجل فلا تغرنكم منهم الفصاحة والبيان فإن الله قد وصف المنافقين بقوله: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون:٤]، ولا يخدعونكم بإظهار الغيرة على الدين ومحاربة الفساد فقد حكى الله عن فرعون قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر:٢٦]، ولا يستخفونكم بالتشنج على المنابر، وهز الأيدي والأكتاف، وتخضيب اللحى بالدموع فقد قال الله في فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ﴾ [الزخرف:٥٤]وكونوا كما قال مُحدَّث الأمة ومُلْهَمَهَا وفاروقها: «لست بالخب ولا الخب يخدعني».

نسأل الله أن يسلمنا وإخواننا المسلمين من كيد الكفار والفجار، وشر طوارق الليـل

---

(١٤) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث حذيفة (٣/ ١٤٧٥).

والنهار، وأن يبصر المسلمين بدينهم وسنة نبيهم وهدي سلفهم، ويجنبنا وإياهم الفتن ما ظهر منها وما بطن إن ربي لسميع الدعاء. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره.

✍ كتبه: إبراهيم بن عامر الرحيلي.

١٤٤٤/٣/٧هـ